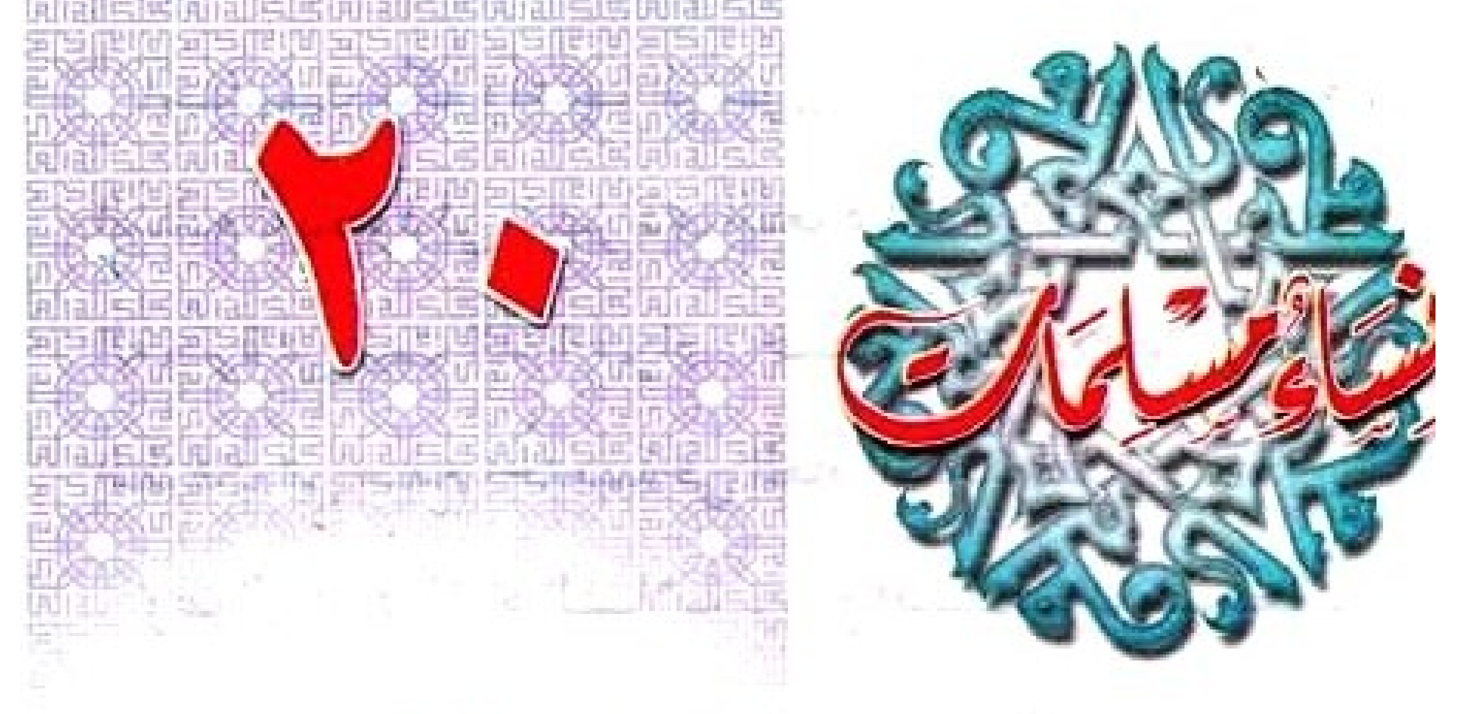


ميمونة بنت الحارث الهلالية

امرأة أحبت الله ورسوله

بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
بريشة: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

اسْتقبلَتْ مكَّةُ وأهلُها الرسولَ ﷺ وأَصحابَهُ فى العامِ السابعِ للْهجرةِ فى شهرِ ذى القعْدة لمدَّة ثلاثَة أَيَّامٍ ، لتأْدية الْعُمْرةِ فى بيْت اللَّه الحرامِ ، حسْبَ الاتِّفاق الذى وقَّعهُ الطَّرفانِ فى صلْحِ الحُدَيْبية فى الْعامِ السَّادسِ للْهجْرة .

وطوالَ هذه الأَيامِ الثلاثةِ ، راحَ المسْلمونَ يطُوفونَ بالْبيْت ويذْرفونَ الدُّموعَ وهمْ يدْعونَ ربَّهمْ فى خُشوعٍ :

ـ لبَّيْكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ .. لبَّيكَ لا شَريكَ لكَ .. إنَّ الحمْدَ والنِّعْمةَ لكَ والمُلْكَ لا شريكَ لكَ .

ويتْلونَ قولَهُ (تعالى) :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٧]

ونظَرَ أهلُ مكةَ إلى هذا المشْهد المهيب الذى يرَوْنهُ لأَوَّلِ مرَّةٍ فى حياتِهمْ ، ففاضتْ دموعُهمْ ، وأَحسُّوا بشَىْءٍ ما فى أَعْماقِهمْ

يدْعوهُمْ إلى التأمُّلِ والنَّظرِ ، فأطالوا التأمُّلَ والتفكُّرَ ، وكادوا يَنْجَذِبونَ إلى هذا الدِّينِ ، لولاَ أنَّ اللَّه (تعالى) لمْ يشأْ لهمُ الْهِدايةَ بعْدُ .

لكنَّ عـدداً غيـرَ قليلٍ منهمْ لمْ يسْتطِعْ أنْ يُقـاوِمَ هذا النُّورَ فانْجذبَ إليه ، وأعْلنَ إسلامَهُ وحُبَّهُ للرسولِ ﷺ ، وكانَ منْ هؤُلاءِ « مَيْمُونَةُ بنْتُ الحَارِثِ الْهِلالِيَّةُ » أُخْتُ



« أُمّ الفَضْلِ لُبابَة بِنْت الحَارِث » زوجة العباس بن عبد المُطَّلب ، حيثُ كانتْ أُمُّ الفَضْلِ امرأةً مسلمةً مؤمنةً باللّه ورسوله ، أَسْلمتْ مُنْذُ وقتٍ مبكِّرٍ ، وكانَ لها مواقفُ مشهودَةٌ فى تاريخِ الإِسْلامِ والْمُسْلمين ،فقدْ ضربتْ أبا لَهَبٍ بعمودٍ فى مَنْزِلها فشجَّتْ رأْسهُ حين اعْتَدى على خادمها الذى أَعْلن إِسْلامَهُ ، وقالتْ له أُمُّ الفَضْلِ :

ـ أَسْتضْعفته حين غابَ عنه سيدُهُ ؟

وانْصرفَ أبو لَهَبٍ ذليلاً بعْدَ أنْ لقَنَتْه أُمُّ الْفضْلِ درساً لا ينْساهُ أَبداً .

لاحظتْ أُمُّ الْفضلِ أنَّ قلْبَ أُخْتها « ميمونَة » يهفُو إلى الرسولِ ﷺ ، ويحنُّ إلى نورِ الإِسْلامِ فسألَتْها على حينِ غفْلَةٍ :

ـ هل تَشْتاقين للقاء محمدٍ ﷺ ؟

فَدمعَتْ عيناها وقالتْ :

ـ وددتُ لوْ أَنْعمَ اللّهُ عليَّ بالْوصالِ من حَبيبِهِ ﷺ ،

كي أَغْتَسِلَ من ذُنُوبي بنورِ وجْهِه ، وأَحْيا ما بقى من حيَاتِي في كَنَفِهِ وطَاعتِهِ .

فقالت أُمُّ الْفَضْلِ :

ـ عسَى اللّهُ أَنْ يُحقّقَ لكِ هذا الرجاءَ ، فأنتِ امْرأَةٌ شريفَةُ النَّسَبِ ، تعلَّقَ قلْبُكِ باللّهِ ورَسُولِه .

وأَضافتْ أُمُّ الْفضلِ قائلةً :

ـ إذا جاءَ الْعباسُ زوْجي ، ذكرتُ له ذلكَ ! وفي نهايةِ الأيامِ الثلاثةِ ، وفي منْزلِ العباسِ قالتْ لَه « أُمُّ الْفضلِ » :

ـ إنَّ أُخْتي « ميمونَة » قدْ ماتَ عنْها زوْجُها أبو رهم ، وهي امْرأَةٌ تحبُّ اللَّهَ ورسولَهُ ، فاذْكُرها عند رسولِ اللَّه ﷺ ، عسَى أنْ تُصبِحَ أُمًّا للمُسلمين .

فتفكَّرَ العباسُ في كلامِ زوْجَته ثم قالَ :

ـ واللَّهِ لوْ تمَّ ذلكَ ، لكانَ له أكْبرُ الأثَرِ في نفُوسِ أهلِ مكَّةَ ، وخاصةً أهلكُم الْهلاليِّينَ .. سوْفَ أذكرُ ذلك لابْنِ أخي ﷺ .

وانْطلقَ الْعباسُ حتى أتى النبيَّ ﷺ ، فأخذَ يذكُرُ له ميْمونةَ بنتَ الحارِث ، ويصفُ له حُبَّها للَّهِ ورسولِه ، ثم قال له :

ـ يا بْنَ أَخي ، لقدْ فقدتْ « ميمونةُ » زوْجَها ، فتزوَّجْها فإنَّ زواجَكَ منْها سيكونُ برَكةً وخيْرًا على أهل مكةَ ،

فقدْ يكونُ سببًا فى استمالتهم إلى الإسلامِ ، كما أنَّ « ميمونة » امرأةٌ شريفةٌ مؤمنةٌ .

ووافقَ الرسولُ ﷺ على الزَّواجِ من ميمونةَ وأصدقَها أربعمائةِ درهمٍ ، وأصبحَ الناسُ فى مكّةَ لا حديثَ لهمْ سوى زواجِ الرَّسولِ الأعظمِ منْ هذه المرأةِ المؤمنةِ



التى أَحَبَّتَ اللَّهَ ورسولَه ، وتمنَّت أَنْ يكرِمَها اللَّهُ بالْقُربِ من رسولِ اللَّه ﷺ ، فكافَأَها بأَنْ صارتْ زوجةً للرَّسولِ ﷺ وأُمًّا للمؤْمنين .

كانت الأيامُ الثلاثةُ التى يؤدِّى فيها المُسلمونَ العُمْرةَ قدْ أَوْشكَتْ على الانقضاءِ ، وقدْ أرادَ الرسولُ ﷺ أنْ يتَّخذَ من زَواجِهِ من « ميمونةَ » وسيلةً للزيادةِ فى التَّفاهُمِ بيْنهُ وبينَ قُريْشٍ ، فلما جاءَهُ زُعماءُ مكَّةَ يقولون له :

ـ إنهُ قد انقضَى أَجَلُكَ ومكثْت بمكةَ أَيامًا ثلاثةً فاخرُجْ عنَّا .

فقالَ لهمْ ﷺ :

ـ ما عليكُمْ لو تركْتمُونى فأعرسْتُ بينَ أَظْهرِكُمْ وصنعْنا لكمْ طعامًا فحضرْتموه ؟

وخشىَ زُعماءُ قريشٍ وسادتُها أنْ يؤْثِرَ بقاءُ محمدٍ ﷺ هو وأَصحابِهِ فى أَهلِ مكَّةَ فيتَّبعونَ دينَهُ ، بعدَ أنْ رأَوْا كيفَ تأثَّروا بمحمدٍ ﷺ ، فقالوا فى إباءٍ :

ـ لا حاجةَ بنا إلى طعامكَ فاخرُجْ عنا .

ولم يترددِ الرسولُ ﷺ فى الخروجِ من مكّةَ بعد انْقضاءِ الأيامِ الثلاثةِ تنفيذًا للعهْدِ الذى أبْرمه مع أهْلها ، وترك خادمَه أَبا رافعٍ ، لكى يصطحبَ أُمّ المؤْمنين « ميْمونَةَ » إلى المدينةِ المنوّرةِ لكىْ تلْحقَ به ﷺ ، فبقى أَبُو رافعٍ بمكّةَ حتى أَتى بها النبىُّ ﷺ بالْقُربِ من التنْعيم .



وصدَقتِ الأيامُ تقديرَ الرسولِ ﷺ ، فلَمْ تمُرَّ سوى أيَّامٍ قَليلةٍ على زواجِه ﷺ منْ « ميمونةَ بنتِ الحارثِ » حتى كان كثيرٌ منَ العربِ وخاصةً منْ أقاربِها يعلنونَ دُخولَهُمْ في الإسْلامِ واتباعِ محمد ﷺ .

فقدْ وقفَ خالدُ بنُ الوليدِ في جمعٍ من أهلِ مكةَ ـ وكان حتى هذا الوقتِ ما يزالُ مُشْركًا ـ فقالَ :

ـ لَقدِ استْبانَ لكلِّ ذي عقلٍ أنَّ محمدًا ليْسَ بساحرٍ ولا شاعرٍ ، وأنَّ كلامَهُ منْ كلامِ ربِّ الْعالمينَ ، فحقَّ على كُلِّ ذي عقلٍ أنْ يتَّبعه !

ولمْ يصدِّقْ أهلُ مكةَ آذانَهمْ ، فردَّ عكرِمَةُ بنُ أبي جهلٍ على خالدِ بنِ الوليدِ قائلاً :

ـ لقدْ صبأْتَ يا خالدُ .

فقالَ خالدٌ :

ـ بلْ أسلَمْتُ للَّه ربِّ العالمينَ .

وحاولَ عكرِمةُ أنْ يُثْنيَ خالدَ بنَ الوليدِ عنْ قرارِه هذا فقالَ له :

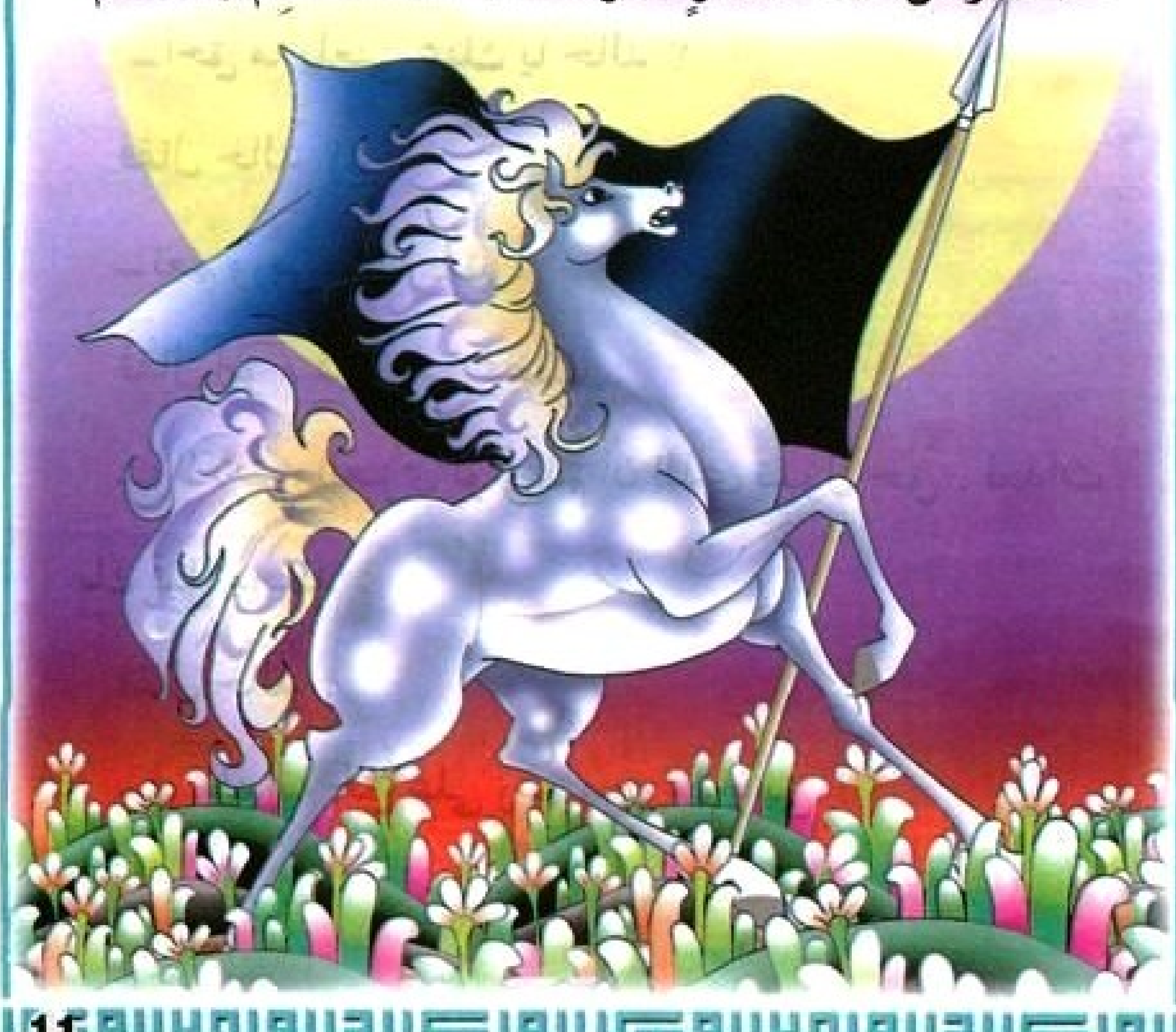
ـ واللهِ ، إنْ كانَ أحقَّ قُرَيْشٍ ألا يتكلمَ بهذا الْكلامِ فهو أنتَ .

فقالَ خالدٌ :

ـ ولِمَ ؟

فقالَ عِكْرِمةُ :

ـ لأنَّ محمداً قد وضعَ شرفَ أبيكَ حين جُرِحَ ، وقَتلَ عمَّكَ وابْنَ عمِّكَ ببدرٍ . فواللهِ ما كُنْتُ لأُسْلِمَ ولأتكلَّمَ



بكلامكَ يا خَالدُ . أما رأَيْتَ قريشًا يريدون قتالَه ؟

فأَجابهُ خالدٌ فى هدوءٍ :

ـ هذا أَمْرُ الجاهليةِ وحميَّتُها . لكنِّى واللَّهِ أَسلَمْتُ حينَ تبيَّنَ لى الحْقّ .

وحينَ عجزَ عِكرمَةُ عنْ مجادلة خالدِ بنِ الْوليدِ ، بعثَ إلى أَبى سُفيانَ ليردَّهُ ، فجاءَ أَبو سُفيانَ وقالَ فى غيْظٍ :

ـ أَحَقٌّ ما بلغَنى عنْكَ يا خَالدُ ؟

فقالَ خالدٌ ؟

ـ نعمْ وربِّى ، إنه لحَقٌّ !

فقالَ أَبو سفْيانَ فى غَضَبٍ :

ـ واللاتَ والْعزَّى لوْ أَعلَمُ أَنَّ الذى تقولُ حقٌّ ، لبدأْتُ بكَ قبْلَ محمدٍ .

فقالَ خالدٌ :

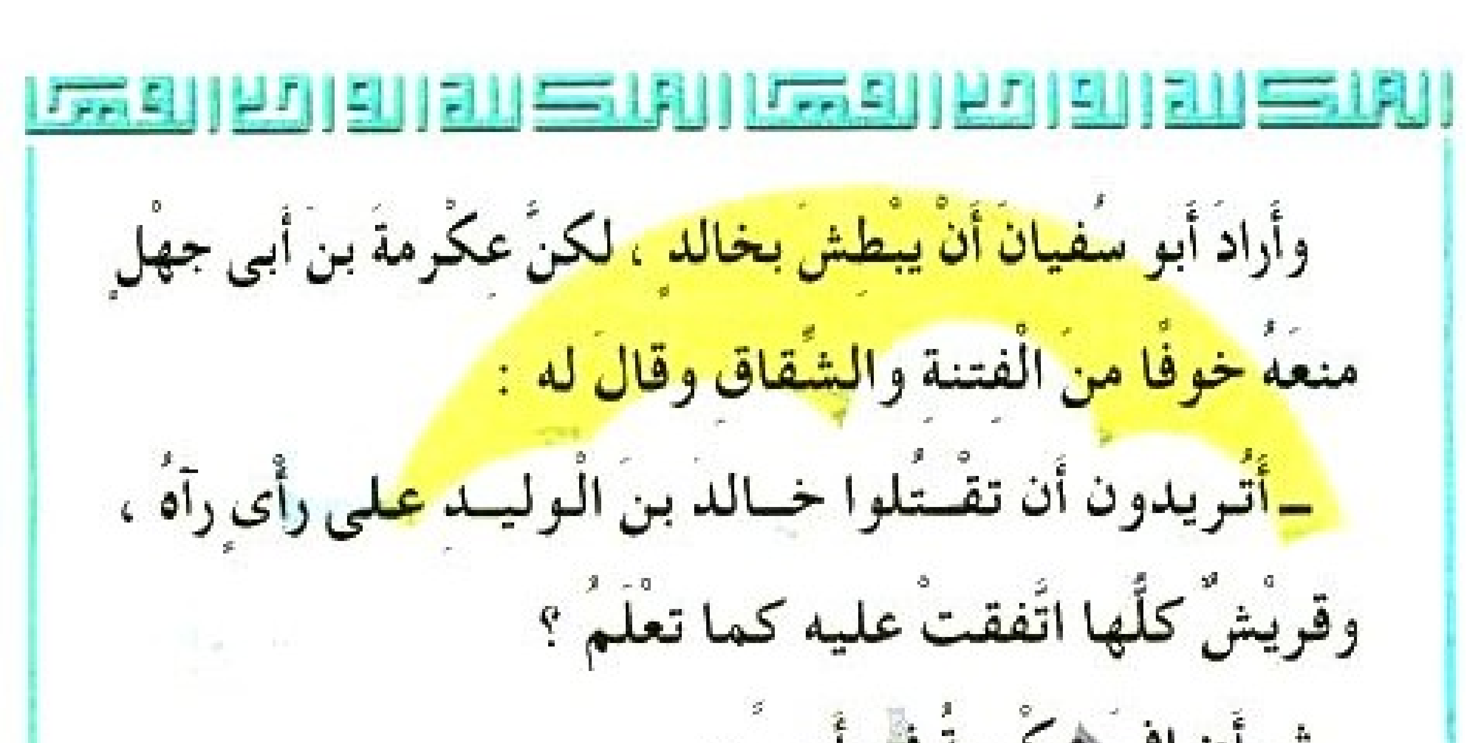
ـ فواللَّهِ إنهُ لحقٌّ علَى رغْمِ مَنْ رغمَ وأَبَى !

وأرادَ أبو سُفيانَ أنْ يبْطش بخالدٍ ، لكنَّ عكْرمةَ بن أبى جهْلٍ منعهُ خوفًا من الْفِتنةِ والشِّقاقِ وقال له :

ـ أتُريدون أن تقْتُلوا خالد بن الْوليدِ على رأْىٍ رآهُ ، وقريْشٌ كلُّها اتَّفقتْ عليه كما تعْلَمُ ؟

ثم أضاف عكْرمةُ فى أسىً :

ـ واللَّه لقدْ خِفْتُ ألا يمرَّ هذا الْعامُ ، حتى يكونَ أهلُ مكَّةَ جميعًا قد اتَّبعوهُ !



وتركَ أبو سفيانَ خالدَ بنَ الْوليد فلحق برسولِ اللَّه ﷺ ، ثم تبعَهُ عمرُو بنُ الْعاصِ وعثمانُ بنُ طلْحَةَ وغيرُهما ، وقدْ تأثَّر بهؤلاء كثيرٌ من أهلِ مكةَ ودخلوا فى الإسلامِ ، وكان ذلك كلُّهُ تمهيدًا لفتح مكةَ ودخولِ أَهْلها جميعًا فى الإسلامِ .

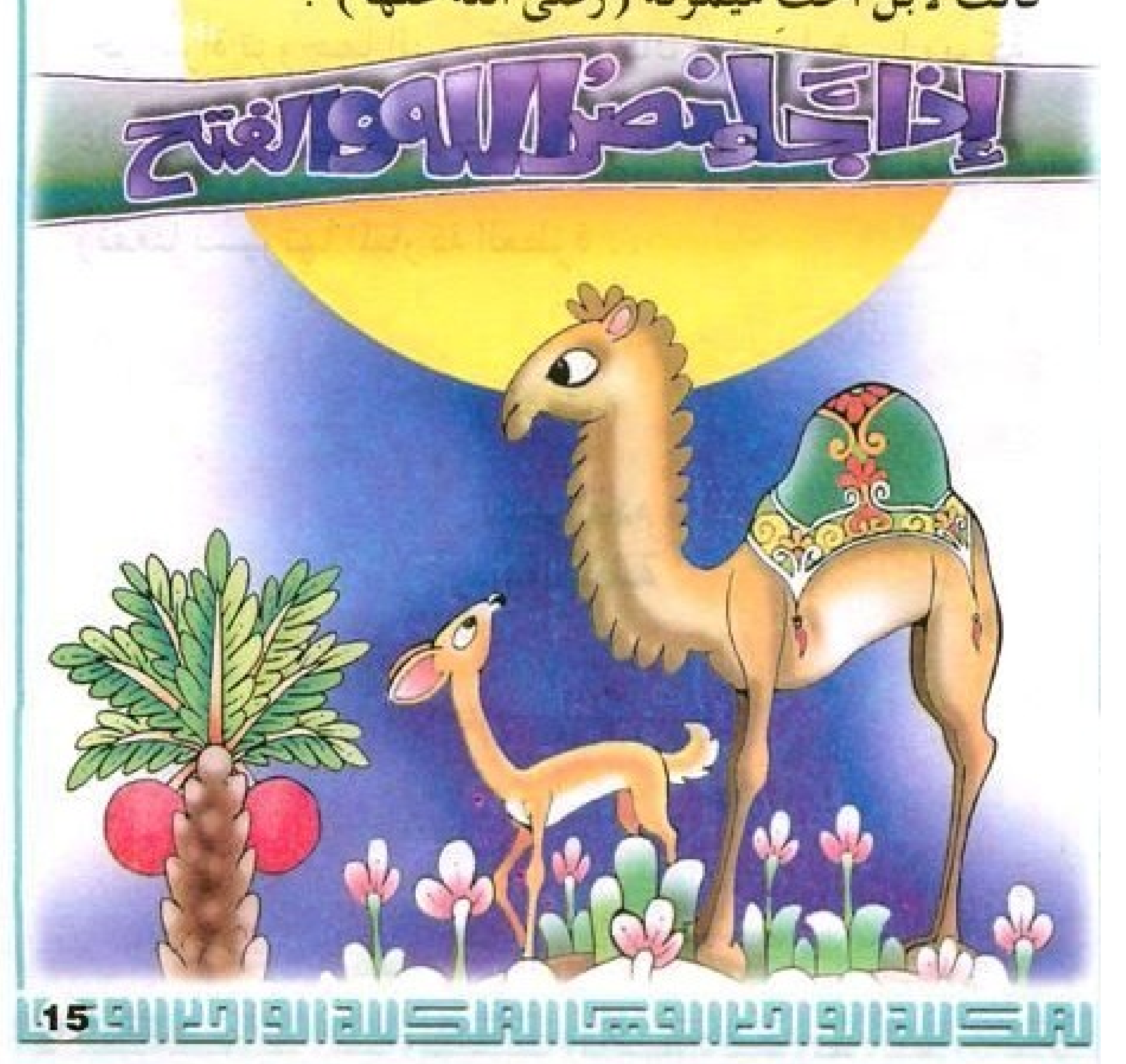
وانتقلتْ « ميمونَةُ » إلى بيت النبى ﷺ ، وهناك قامتْ بدوْرها كزوْجة للنبى وكأُمٍّ للْمؤمنين على أكْملِ وجْه ، فقدْ كانت حريصةً على إرضاء اللَّه ، وإرضاءِ رسولِ اللَّه ﷺ .

ففى مرضِ الرَّسولِ ﷺ الأخيرِ ، كانَ الرسولُ ﷺ يرْقُدُ فى منزلِ « ميمونة » (رضى اللَّهُ عنها) ، فلما أحسَّتْ برغْبته ﷺ فى الانْتقالِ إلى بيْت عائشةَ (رضى اللَّهُ عنها) ، رضيتْ أنْ ينْتقل ﷺ حيثُ أحبَّ ، فقدْ كانَ ما يُرضى رسولَ اللَّه ﷺ يُرْضيها .

وعاشَتْ « ميمونةُ » (رضى اللَّهُ عنها) بعدَ وفاة النبى ﷺ عُمْرًا مديدًا ، وحينَ حضرتْها الْوفاةُ ، طلبتْ من أَهْلها أنْ يدفنُوها فى نفْسِ المكانِ الذى شهد زواجَها الميمونَ من سيِّدِ الخَلْقِ ﷺ ، فدفنُوها فى قرْيَةِ « سرف » بالْقُرْبِ من التَّنْعيمِ ، وكانَ ذلكَ سنةَ إحْدى وخمسين للهجرةِ .

وَقَدْ شَهِدَتْ زَوْجَاتُ النَّبِيِّ ﷺ لِمَيْمُونَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) بِالصَّلاحِ وَالتَّقْوَى وَصِلَةِ الأَرْحَامِ .

فَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ يَزِيدُ بْنُ الأَصَمِّ ابْنُ أُخْتِ مَيْمُونَةَ هُوَ وَابْنُ أُخْتٍ لِعَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ، كَانَا بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِ مَيْمُونَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ، وَقَدْ بَلَغَ عَائِشَةَ عَنْهُمَا مَا يَسُوؤُهُمَا فَوَعَظَتِ ابْنَ أُخْتِهَا وَنَصَحَتْهُ بِالتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَتْ لابْنِ أُخْتِ مَيْمُونَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) :



ـ أما علمتَ أنَّ اللّهَ ساقكَ حتى جعلكَ في بيْتٍ منْ بُيُوتِ رسولِ اللّهِ ؟ ذهبتْ واللّهِ ميمونةُ ، ورُمِي بحبْلِكَ على غاربِكَ . أمَا إنها كانتْ واللّهِ من أتْقانا للّهِ ، وأوْصلنا للرَّحِمِ .

رحِمَ اللّهُ أُمَّ المؤْمنينَ « ميمونة بنت الحارث الْهلاليَّة » ، آخر امْرأةٍ تزوَّجها النبيُّ ﷺ ، وكانَ زواجُها خيراً وبركةً على قَوْمها وأهلِ مكةَ جميعًا ، رَحِمها اللّهُ رحْمةً واسعةً ونفعَنا بسيرتِها المْباركة الْعطرة ..

(تمتْ)

الكتاب القادم
مارية القبطية

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٧٨٩٦
٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٨٢٩ ـ ٢